مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٢٩/٢٠٠٨ هـ.ق، العدد ١٥ (٤) ٦٣-٧٥

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

الغربة في الشعر العربي
(الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً)

جعفر دلشاد[١]، عبدالغني ايرواني زاده [٢]، حامد صدقي[٣]، سيد عدنان اشكوري[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٢٨/٨/١١ تاريخ القبول: ١٤٢٨/٩/٥

لمصطلح الإغتراب مدلولات عديدة و متباينة أحياناً في العلوم الإنسانية، و من هذه المفاهيم: الشعور بالغربة و عدم التجانس مع المجتمع نتيجة للظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية. و قد ينعكس هذا الإغتراب على سلوك الفرد و تعامله مع الآخرين و على أسلوبه في الحديث، خاصّة إذا كان الفرد من طبقة الشعراء أو الفنّانين. و الأدب العربي من بداية نشأته و حتى يومنا هذا حافل بأنواع الإغتراب الذي كان يعانيه الشعراء في الظروف المختلفة.

تعرض هذه الدراسة نماذج من الإغتراب في الشعر العربي و أسبابه و من ثمّ تعرّج على دواعي الإغتراب في البلاد العربية المعاصرة، و هي عبارة عن: التجزئة والتفتت الإجتماعي حيث سيادة فئة قومية أو طائفية على الباقي، هيمنة الدولة على المجتمع وانعدام المجتمع المدني، تسلّط الأنظمة الإجتماعية القسرية، كالأحزاب الحاكمة والقبائل والعشائر البدوية وما شابه ذلك، الإستغلال الطبقي والظلم والحرمان والقهر ووجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية، والأقوياء والأغنياء من ناحية أخرى، التبعيّة والسيطرة الخارجية على الموارد العربية بالتحالف مع الحكام والطبقات المهيمنة، طقوسية الماضوية اللاعقلانية.

وفي الختام يتناول المقال نماذج من الإغتراب في شعر المهاجرين العراقيين، حيث يعدّ أهمّ سمة تميّزه عن غيره. ويبدو أنّ شعر هؤلاء يشترك في ثلاثة أنماط من الإغتراب هي: الإغتراب المكاني و الإغتراب الزماني و الإغتراب السياسي.

الكلمات الرئيسية: الإغتراب، شعر المهاجر العراقي، دواعي الإغتراب.

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان، البريد الالكتروني: delshad@fgn.ui.ir.

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان

٣. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت معلم.

٤. طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان، البريد الالكتروني: eshkewaree@yahoo.com

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

مظاهر الغربة في الشعر العربي

ليست ظاهرة الغربة منحسرة على الشعر والأدب، فهي قديمة قدم الإنسان، فضلاً عن ظهورها في طيّات الشعر العربي وأنشودات العرب و ملاحمهم. إنّها ظاهرة مرتبطة بالنفس الإنسانية وما يعتريها من آلام وشجون؛ ومنها الغربة بأنماطها المختلفة.

و يبدو أنّ الإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض، قد حمل بين جوانحه ضروباً من الإحساس بالغربة، التي أضفت طابعها الخاص على جوانب كثيرة من أدبه.

ولعلّ أبرز مظهر لهذه الغربة وقوف الشعراء الجاهليين على الأطلال في مقدّمات قصائدهم يندبون غربتهم بعد أن أقوت الديار ورحل أهلها عنها، من ذلك مقدّمة لبيد في معلّقته حيث تقطّعت الأسباب بينه و بين نوار :

عَفَتِ الدِّيارُ محلُّها فمقامُها

بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أنيسِها

حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وحَرامُها

(البستاني: ١٩٩٣م، ج١/١٠٣)

وكما هو الأمر في معلّقة النابغة حيث «أقوت» دار ميّة «وما بالربع من أحد» وقد «أضحت خلاءً» بعد الأنس والحركة والحياة و«لا ارتجاع» لكلّ هذه الأحلام لأنّها جزء من الماضي الذي ابتلعه العدم:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند

أقْوَتْ وطالَ علَيها سالفُ الأمَدِ

وقفتُ فيها أصيلاً كي أسائلها

عَيَّتْ جواباً وما بالرَّبْــعِ من أحَدِ

أضْحَتْ خَلاءً وأضْحى أهلُها احتمَلُوا

فأخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

عد عَمّا تَرى إذ لا ارتجاعَ له

وانمِ القتودَ عَلى عَيرانةٍ أُجُدِ

(المصدر السابق/٢١٣)

فالإغتراب هنا كامن في فقد الأحبّة ومذاق الحياة، إنّه معادل موضوعي للعقم والجدب وهذا ما تقتضيه بيئة الشاعر القاحلة التي لا تعرف الخصب والعطاء. وإلحاح الشعراء على هذا المعنى في مطالع قصائدهم يوحي بإحساسهم الشديد بفجيعة الغربة بل بكارثة الحياة التي تسيطر عليها قوى القدر، تبطش بهم فتفرّق بين القبائل والمحبّين وهي قوى لا يمكن للشاعر أن يسيطر عليها أو أن يزحزحها ولو بمقدار قليل. ومحاولة التخلّص الوحيدة التي يملكها إزاء هذه الغربة، هي ركوب ناقته ليرحل فينسى كما يقول طرفة:

وإنّي لأُمْضِي الهَمَّ عِندَ احتضارِهِ

بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

(المصدر السابق/٥٨)

أي أنّه يقابل الغربة بإغتراب آخر. أمّا دوافع الغربة في الجزيرة العربية فليست بقليلة. فالعصر الجاهلي معروف بقساوة بيئته التي جعلت من سكان البادية يقتاتون طعامهم أينما وجدوا الماء و الكلأ. و هذا يستلزم ترحالهم المستمرّ من حيّ إلى حيّ و من وادٍ إلى واد. فأعقب هذا الترحالُ الكثيرَ من الحسرات على الأمكنة المختلفة، فترى الشعراء وكأنّ الواحد منهم قد نعيت إليه روحه، فأبياتهم طافحة بمعاني الغربة من بعد هجرة الأحبّة. وممّا كان يساعد على اغتراب الإنسان العربي أيضاً، نزوح الشاعر عن قومه ووطنه كما هو الحال بالنسبة لامرئ القيس، فقد هام شريداً يبحث عمّن يستعين به في استرداد ملك أبيه والأخذ بثأره، حتى وصل إلى بلاد الروم في قصته المشهورة، وهناك أحسّ بقرب منيّته بعد أن امتلأ جسمه بالقروح، فرويت له أبيات تفيض لوعة ووحشة يقول فيها:

أجارتَنا إنّ المزارَ قريبُ

و إنّي مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا

و كلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

(الإصبهاني، الأغاني: ج٩/١٠١)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

ويندرج الصعاليك في طائفة المغتربين في العصر الجاهلي إن كانت غاراتهم على القبائل وأحياء العرب وعيشهم حياة التشرذم والفقر، بل ووقوفهم إلى جانب الفقراء من الناس، سبباً رئيسياً لتبرّؤ القبائل منهم وإنكارها لهم. فعاشوا في غربة مضاعفة ظهرت في طيّات أبياتهم الشعريّة. إنّ حياة المغامرة الدائمة لطائفة الصعاليك، تعني الثورة على كلّ ما هو قائم، وكانت تلك الطائفة تعمل من أجل إعادة التوازن الاجتماعي المفقود للبيئة الجاهليّة.

إنّ الجوع – أبا الكفار – هو الذي قاد تلك المسيرة، وأشاع جوّاً من الخوف في بيئة الجاهليّة القاسية. والفقر الذي آلم الصعاليك وغيرهم من البشر كان المحرّك الأول لتلك الظاهرة، أضف إلى ذلك عوامل الجنس واللون والعرق والموقع الإجتماعي. فخذ مثلاً عروة بن الورد رئيس الصعاليك؛ فأول ما يلفت النظر في شعره الطموح إلى الغنى. وأيّ غنى يصيب إنساناً مثله، إنساناً جعل حياته وقفاً للفقراء والمساكين والمشرّدين المقهورين بسبب القمع الإجتماعي القائم، والنظام القبلي الذي لا يرحم.

والطموح عنده يقترن بالإغتراب. وهذا ما حذّر منه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حينما قال لمعلّم ولده أن لا يروي لهم أبيات عروة لأنّها تدعوهم إلى الإغتراب عن أوطانهم. (مروّة: ١٩٩٠م/٨٠) يقول عروة :

دعيني للغنى أسعى فإنّي
رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
و أبعدُهم وأهونُهم عليهم
وإن أمسى له حسبٌ وخيرُ
ويُقْصِيهِ النَّديُّ وتَزدَريهِ
حليلتُهُ وينهرُه الصغيرُ
ويُلْفى ذو الغِنى ولَهُ جَلالٌ
يكادُ فؤادُ صاحبِهِ يطيرُ
قليلٌ ذنبُهُ والذَّنبُ جَمٌّ
ولكنْ للغنى ربٌّ غفورُ
(المصدر نفسه)

لكنّ اغتراب عروة بن الورد لم يكن إلاّ تجاه أقاربه الذين تنكروا له، أمّا الفقراء الذين كانوا يعوّلون في العيش عليه و اتخذ هو طريق الصعلكة من أجلهم و عاش حياة مشرّدة نتيجة الغزو و سلب الأحياء ليشبعهم فهم ليسوا بغرباء عنه. فإذا ما سئل إلى أين يذهب ؟ يجيب في حكمة، و في شعر خصم بروح الغزو، و الوفاء لأصحابه و أصدقائه و للناس الفقراء :

إذا المرءُ لم يبعثْ سواماً و لم يُرَحْ
عليه و لم تعطفْ عليه أقاربُهْ
فلَلموتُ خيرٌ لِلفَتى مِن حياتِهِ
فقيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقاربُهْ
وسائلةٍ أين الرحيلُ وسائلٍ
ومَن يسألُ الصعلوك أين مذاهبُهْ
مذاهبُهُ أنّ الفجاجَ عريضةٌ
إذا ضَنَّ عليهِ بالفِعالِ أقاربُهْ
فلا أترك الإخوانَ ما عشتُ للردى
كما أنّه لا يَتْرُك الماءَ شاربُهْ
(البستاني: مصدر سابق/٣٤)

تقول بنت الشاطئ في حديثها عن الشعراء الصعاليك الذين نبذتهم قبائلهم فهاموا في الفلوات :

«نحسّ تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمون على وجوههم في الفلوات، أحراراً فيما يبدو، ومشرّدين غرباء في الواقع، فإنّنا نلتفت إلى ما ترك الخلع في وجدانهم من أثر عميق نافذ، سجّلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسيّة، وقسوة الحرمان من السكن و الأهل والدار. بل إنّ سلوكهم نفسه كان يُطوى وراء الإستهانة بالحياة، والإنطلاق في الفضاء العريض، والمغامرة الفتّاكة المثيرة،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

سخرية مريرة بالحرّية الفرديّة، وشعوراً عميقاً بالتمزّق والضياع » (بنت الشاطئ: ١٩٧٠م/٣٦).

والشنفرى أيضاً شاعر آخر من الصعاليك، عُرف أيضاً باغترابه الشديد و يروى أنّه اعتزل قومه وحلف أن يقتل مائة منهم، فصار يعيش مع الوحوش ويفخر بأن يكون كالذئب الجائع الوحيد ويحيا حياته ويصبر على شظف الحياة الإنعزالية التي احتارها لنفسه. يقول :

أقيمُوا بني أمّي صدورَ مَطيِّكم
فَإنِّي إلى قَوْمٍ سِواكمْ لأمْـيَلُ
وفي الأرضِ مَنْأىً لِلكَرِيمِ عَن الأذى
وفيها لِمن خاف القلى متعزّلُ
ولي دونَكُمْ أهْلُونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ
وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جَيأَلُ
همُ الأهلُ لا مُستَودَعُ السرِّ ذائعٌ
لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

(البستاني: المصدر السابق/٥)

ثمّ إنّ المجتمع الجاهلي المعروف بنظامه القبليّ القائم على العصبيّة والفوارق الطبقيّة الصارخة كان خير سبب لظهور الإغتراب لدى الشريحة المغلوبة على أمرها. فذاك عنترة العبسي رغم ما تحلّى به من خصال الفروسية والشجاعة والقدرة على إنشاد الشعر بأرقى أنماطه كان يعاني الإغتراب بنوعيه النفسي والإجتماعي. فلونه الأسود كان عائقاً يحول دون بلوغه طموحاته وآماله. (بدوي: ١٩٧٣م/٣٥)

وعلى الرغم من اختفاء النظرة العنصرية إلى الإنسان الأسود عند مجيء الإسلام لأنّ الإسلام عمل على تغيير النظرة السائدة وعلى رفع معنويات السود بحيث سوّى بينهم وبين البيض، إلاّ أنّ عقدة الإحساس باللون بقيت ماثلة في نفسيات هؤلاء. فهؤلاء كانوا يرون أنفسهم وأهلهم يُهانون، ومع أنّ الإهانة كانت تختلف من عصر إلى عصر ومن شاعر إلى شاعر إلاّ أنّ الشاعر الأسود كان لا يملك إلاّ أن يكون صوت احتجاج على الحياة من حوله وعلى مأساته نفسها (المصدر السابق/٢٢٤).

وبعد ظهور الإسلام واتّساع رقعته الجغرافية هاجر كثير من العرب إلى البقاع الجديدة إمّا مع جيوش الفتح الإسلامي وإمّا في مهمّات إدارية وسياسية مصطحبين الولاة والأمراء ليكوّنوا لأنفسهم جاليات عربية، محتفظة في تلك البيئات الجديدة بروحها العربية البدويّة وألوان حياتها وأنماط عيشها. ومن الطبيعي أن نجد لهؤلاء شعراً يفيض بالحنان والشعور بالغربة والعاطفة نحو البلاد التي نشؤوا فيها. من ذلك شعر عوف بن محلّم الخزاعي الذي خرج من الجزيرة وتنقّل مع الطاهر بن الحسين ثلاثين عاماً ثمّ مع ولده عبد الله. فاشتدّ به الحنين إلى وطنه ورغب في العودة ولكنه لم يُجَبْ لطلبه فازداد إحساسه بالغربة بعد أن دهمته الشيخوخة فتلهف للإستراحة من رحلة الحياة بالعودة:

أفي كلّ عام غربة و نزوحُ ؟
أما للنّوى من وَنْيَةٍ فتريحُ ؟
و أرّقني بالريّ نَوْحُ حمامةٍ
فَنُحْتُ و ذو اللبِّ الحزينِ ينوحُ
على أنّها ناحتْ فلم ترَ عبرةً
و نُحْتُ و أسرابُ الدموعِ سفوحُ
و ناحتْ و فرخاها بحيث تراهما
و مِن دونِ أفراخي مَهامهُ فِيحُ
ألا يا حمامَ الأيك فرخك حاضرٌ
و غصنك ميّادٌ ففيمَ تَنوحُ

(فهمي: ١٩٦٥م/١٣٥)

وقد يكون الشاعر أحياناً بين قومه وفي وطنه و لم يضرب في الأرض، وهو رغم هذا كلّه يعاني الإغتراب، ذلك أنّه لا يتجانس مع قومه ويشعر بالتفرّد لأنّه لا يشاطرهم عقائدهم أو

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

يجد نفسه محروماً من شأنه الذي ينبغي له. يقول أبو فراس الحمداني:

سَيَذْكرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم

وَفِي الليلةِ الظَّلْماءِ يُفتَقَدُ البدْرُ

(الحمداني: ١٩٨٧م/١٤٥)

وهذا ما حدث أيضاً مع أبي الطيب المتنبي حيث شبّه غربته بغربة المسيح بين اليهود أو النبي صالح بين قوم ثمود :

ما مقامي بأرض نخلة إلاّ

كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمّة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

(البرقوقي: ٢٠٠٦م، ج٢٧٦/١)

ويصف أهل زمانه بشتى النعوت الذميمة ويرى نفسه مضطرّاً للعيش مع أعدائه ومصادقتهم فهذه نكبة الدهر القاسي:

أذمّ إلى هذا الزمانِ أُهَيْلَهُ

فأعْلَمُهُـــم فَدْمٌ وأحْرَمُهُم وَغْدُ

وأكْرَمُهُم كلبٌ وأبْصَرُهُم عَمٍ

وأسْهَدُهُم فَهْدٌ وأشجعُهُم قِرْدُ

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى

عدوّاً له ما مِن صداقتِه بُدُّ

(المصدر السابق/٣٠٥ و ٣٠٦)

ويصل المتنبي إلى القمة في الإغتراب بقوله :

بم التعلُّلُ لا أهْلٌ ولا وَطَنُ

ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أن يُبَلِّغَني

ما لَيس يَبْلُغُهُ مِن نَفْسِه الزَّمَنُ

(المصدر السابق، ج٤٦٧/٢)

بل يمكن القول إنّ غالبية الشعراء كانوا يعانون الاغتراب بشكل من أشكاله، فالإغتراب عامل إبداع مهمّ وخصب.

أسباب الإغتراب في المجتمع العربي المعاصر

الإغتراب كما ذكرنا من قبل حالة إنسانية تعتري بني البشر، ومن هنا فمن الصعب تحديدها وتبيين معالمها. كالفيل الذي استشهد بقصته مولانا جلال الدين البلخي في المثنوي، كان في صالة حالكة الظلام فدخل رجال ليتعرّفوا إليه وجعل كلٌّ يلمسه في جانب من جسمه وخرجوا بتصويرات متفاوتة عنه لا يكاد الواحد ينطبق مع الآخر. فالاغتراب أيضاً شأنه شأن كل ظاهرة إنسانية يصعب تحديدها ولذلك لم يعط الباحثون آراء دقيقة ومتقاربة عنه ولا عن أسبابه. ولعلّ أكمل دراسة لظاهرة الإغتراب في البلدان العربية هي تلك التي قام بها الدكتور حليم بركات؛ إذ يعزو اغتراب الطبقة المثقّفة في البلدان العربية لستة أسباب هي :

١- التجزئة والتفتت الإجتماعي، حيث تسود المصالح القبلية والمحسوبيات الأسرية على المجتمع ممّا تنعدم في ظلّه إمكانية الخروج على الأعراف والتقاليد السائدة.

٢- هيمنة الدولة على المجتمع وانعدام المجتمع المدني، حيث لا نجد بلداً عربياً تسلّم رئيسه السلطة من خلال السبل الديمقراطية أو باختيار الشعوب. بل العكس لم يأت رجال السلطة إلاّ من خلال الإنقلابات العسكرية أو دعم القوى الإستكبارية.

٣- تسلّط الأنظمة الإجتماعية القسرية، كالأحزاب الحاكمة والقبائل والعشائر البدوية وما شابه ذلك.

٤- الإستغلال الطبقي والظلم والحرمان والقهر ووجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية، والأقوياء والأغنياء من ناحية أخرى.

٥- التبعيّة والسيطرة الخارجية على الموارد العربية بالتحالف مع الحكام والطبقات المهيمنة.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

٦- طقوسية الماضوية وثباتها حيث الصراع بين القديم والجديد (راجع بركات: ٢٠٠٦م/٦٠ و ٦١).

ولابدّ هنا من التذكير بأمرين مهمّين: أولهما كون الصراع القائم بين القديم والجديد سبباً للإغتراب بشكل عامّ، إذ ليست الماضوية سبباً للإغتراب في كثير من الأحيان، بل إنّ سيادة الأفكار الوضعية المستوردة من الغرب والتي لا تمتّ بأدنى صلة لطبيعة المجتمعات العربية ومحاولة تسويغ هذه الأفكار قسراً كما هو معروف لدى الأحزاب التي تزعم أنّها تقدّمية وترمي الآخرين بالرجعية، كان أهمّ عامل لبروز حالة الإغتراب.

والثاني أنّ العراق هو أهمّ بلد توفّرت فيه هذه الأسباب، خاصّة في الجانب القهري الذي اتخذه رجالات الحكم المنحدرون من منطقة معيّنة بل وقبيلة محدودة. فرجال السلطة ينحدر معظمهم من تكريت وأطرافها (العلوي: ١٤١١هـ/٢٧).

والمجتمع العراقي مكوّن من قوميات مختلفة كالأكراد والعرب والتركمان والآشوريين والفيليّين و... ومن أديان ونحل ومذاهب متفاوتة هذا فضلاً عن سيادة الإنتماء القبلي والبدوي فيه (الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي/٢٤) ثم يأتي انحصار الثروات والموارد الاقتصادية بيد الشركات التي يمتلكها رجال السلطة وذووهم ودخولهم في مهاترات تجارية أيام كان البلد يحاصر اقتصادياً ويموت فيه الكثير من أطفال العراق جرّاء الجوع يومياً. وما ممارسات القهر والاستبداد والقمع والملاحقة والتجنيد في حروب السلطة الخاسرة وصنميّة القيادة العراقية وتألّهها المتجبّر بخافية عن عامّة الناس ناهيك عن المتابعين للشأن العراقي. كلّ ذلك شكّل أسباباً عديدة لبروز حالة الإغتراب لدى المثقفين العراقيّين وبخاصّة شريحة الأدباء والشعراء.

يقول جبرا إبراهيم جبرا: « هذه الغربة الداخلية تتحكّم به [أي المثقّف] أول الأمر، فتشحذ خياله وقلمه، وتدفعه إلى التعبير وربّما الإبداع، ثم تدفعه إلى اتخاذ الموقف الحادّ إيماءً أو صراحةً، ويتلوّن كل ما يكتب وكل ما يفكّر به بهذا التشبّث بالرأي، وتدفعه الغربة إلى التمرّد، والقلم مازال بيده. .. فيمسك المثقّف هذا اللسان عن الكلام حين يرى إنسانيّته لا تنسجم وعشائريّة المجتمع، أو أنّ فكرته عن العدالة، بمعناها المطلق، لا تتّفق وفكرة السلطة التي إنّما تعتمد القوانين والمراسيم، بحرفيّتها وموضوعيّتها، ولا يهمّها أنّ المثقّف يريد المداخلة في النقاش بالإعتراض، أو الرفض، أو المطالبة» (جبرا: ١٩٨٩م/٤٤).

ويذهب الدكتور بركات إلى أنّ النتائج السلوكية التي يسفر عنها الإغتراب تتراوح بين: ١. الإنسحاب أو العزلة. ٢. الخضوع أو الإستسلام. ٣. الثورة أو التمرّد في سبيل تغيير الواقع (بركات: مصدر سابق/٥٩).

ونحن إذ نتابع تاريخ المعارضة العراقية وأساليب السلطة في التعامل معها على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، نجد أنفسنا أمام حالة قلّ أن يشهد لها التاريخ مثيلا، إذ جعلت السلطة الإنسان العراقي- وليس المعارضة وحسب- أمام خيارين لا ثالث لهما إمّا الرضوخ والاستسلام الكامل والعبودية التامّة، وإمّا انتهاج سبيل العزلة والإنسحاب، من خلال انتهاج سبيل الهجرة إلى الخارج ومعالجة الإغتراب باغتراب آخر غيره. أمّا أن ينتهج المعارض المغترب نهج الثورة والتمرد في سبيل تغيير الواقع فهذا ما لم تدع له السلطة من مجال في ظلّ سياسات القمع العنيفة. إذ طالت عمليات التصفية أكبر الشخصيات الدينية والفكرية، كالمفكر والمرجع الشهيد الصدر، فضلاً عن سائر الناس. ولم يعد بإمكان المعارضة انتهاج سبيل التغيير والثورة على الأرض. والملفت للنظر أنّ السبيل الأول، أي الإنسحاب والعزلة أيضاً، صار ضرباً من اللاممكن في العراق في ظلّ نظام البعث. فحتى الذين اعتزلوا الواقع ولاذوا بالصمت والانسحاب، اضطرّوا فيما بعد للخضوع والإستسلام لسياسات السلطة اللامعقولة، والدخول في بوتقة صهر القوى الإنسانية المتمثّلة بالحروب الطاحنة وحملات الإعتقال الواسعة وعمليات التهجير الجماعي (الأنفال)، والإبادة الشاملة والقبور الجماعية و...

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

وما يهمّنا هنا أنّ شريحة غير قليلة من أبناء الشعب العراقي قد آثرت سبيل الهجرة لتجد متنفّساً في بلاد الغربة. وبطبيعة الحال فإنّ عدداً لا بأس به من هؤلاء، ومعظمهم من الطبقة المثقّفة هم من الشعراء والأدباء الذين جعلوا يبثّون شكاواهم، وما تعتلج به صدورهم في أبيات من الشعر ودواوين صدرت لهم، تتفق جميعها في قضايا عديدة من حيث المفهوم والمحتوى، أهمّها الإغتراب، والشعور بالحنين إلى الوطن، والتغنّي بأمجاده، ورثاء جروحه العميقة.

من مظاهر الغربة في شعر المهاجر العراقي

١. الحنين إلى الوطن (الإغتراب المكاني): يشكّل الحنين إلى الوطن قسماً عظيماً من اهتمام الشعراء المهاجرين من العراق. حتى أنّ بعضهم عنون دواوينه بالوطن مثل مدين الموسوي (كان لنا وطن)، وإبراهيم الأحمد النجفي (هل قلت شيئاً يا وطن ؟) وبعضهم عنون قصائده بالوطن مثل مصطفى جمال الدين (لرمادها ورماد الوطن)، وعبود الأحمد النجفي (الوطن المسافر، عتاب مع الوطن)، وجواد جميل (ضاع مع الوطن، صلاة من أجل الوطن). هذا بالإضافة إلى مسمّيات أخرى توحي بهذا الحنين مثل أحمد الوائلي (إلى بلادي الحبيبة، مع الفرات، بغداد جفّ الربيع الطلق، بغداد، وادي الغري) ومصطفى جمال الدين (للإمام وللنجف وللعراق، مهلاً ضفاف الرافدين)، والموسوي (يا أرض العراق) و...

يقول الشيخ أحمد الوائلي في حنينه للوطن حيث القبّة الشامخة لمرقد أمير المؤمنين علي (ع) :

حنيني إلى وادي الغريّ وقبّةٍ
يغازِلُها نجم السماءِ ويلاعبُ
عليها لعابُ الشمسِ تبر وتحتَها
أئمّة عرفان وحبر وراهبُ
فلا زلتَ يا وادي الغريّ خميلةً
تمرّ عليها العادياتُ السواكبُ
(الوائلي: ١٤٢٤هـ، ج١٢٨/٢)

وهو رغم ترحاب الشاميّين واحتفائهم به، يتوق إلى أرض الرافدين؛ وبقي هذا الحنين يلازمه لثلاثة وعشرين عاماً حتى وافته المنيّة بعد عودته إلى العراق بأيّام قلائل :

فجسمي بأرضِ الشامِ والروح عندكُم
وقلبي إلى واديكم يتواثبُ
وإنّي وإن تحنُو عليّ مرابع
وأهل بأرباض الشآم أعاربُ
فإنّي كوفُّي الهوى تستميلُني
بأرض الفراتين الرُّبى والمناكبُ
ولا أرتضي إلاّ الفرات وماءه
ونخلاً يناغيه الهوى ويناعب
هنالِك جسمي والفؤادُ وأوّلي
وآخرُ ما أصبو له والمآربُ
(المصدر نفسه)

أمّا مصطفى جمال الدين الذي قضى نحبه غريباً في الشام، وحلم العودة إلى العراق وزوال كابوس البعد عن الوطن لم يتحقّق له، فانه يشكو هذه الغربة والعيش بأرض المنفى رغم كونه عزيزاً مكرّماً في سوريّة إلى حدٍّ ما :

واغتربنا فلم نجد في منافيـــ
ـــنا بديلاً يلذّ فيه المذاقُ
قد شبعنَا من الضياع وجعنَا
من فتات لنا عليه استباقُ
وطنُ الناس تربة نبتها الـــ
ـــعـــزّ وقـــلـــبٌ بحبّـــهـــم خفّاقُ
ضاع منا القلب الكبير وأمسى
ذكريات ذاك الثرى العبّاقُ
(جمال الدين: ١٩٩٥م/٢٩٧ و ٢٩٨)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

والنفي الذي تعرّض له البعض من هؤلاء المهاجرين غربة قاتلة تنغرز في أحاسيسهم كطعن الهاجر و ابراهيم الأحمد النجفي أحد هؤلاء فهو حين يطلّ برأسه من نافذة الشعر، ينكفئ حزيناً إلى كوّة أعماقه، لأنّه لا يرى نسمة عراقية تتدلّى إلى صدره ولا يرى لوحة طفولة بريئة كان قد تركها بلعبة تنسرح برائحتها المتربة لتهيّج جوع تشوّقه ويبأس السنين القاحلة، فالنفي وفق رؤيته موت، وليس انتقالاً مكانيّاً بين نقطتين متباعدتين، إنّه نقطة واحدة وقف عليها إبراهيم الأحمد بروحه وحلمه وذكرياته المتهيكلة هناك في الوطن:

وتلفظني المسافات. ..
وتهملُ قصّتي الأشجار والأحداقُ والأمل
وأصرخُ من فؤادي
إيه يا وطني
أما هزَّتكَ آهاتي ؟
أَلَم تسمع نداء الشوق يقتلني ؟
ألا ترحم نداءَاتي ؟ (الأحمد النجفي، إبراهيم: ١٩٩٧م/٢٠)

إنّ الغربة لتفوق طاقة المرء، فيظلّ يتغنّى بالوطن ويحلم به خاصّة عندما لا يجد في المنافي ضالّته فيغادر مرفأً إلى آخر ويجرّب شتى المدن والبلدان فلا يؤويه بلد يعوّض عنه بلده الأمّ:

«كان وجهي يحكي بغربته/وجه راعٍ، في غربةِ المدنْ
عابراً من مرافئ غرقتْ/لمراف محروقةِ السفنْ
لا تخافي إن عدتُ محترقاً/بائعاً غنوتي بلا ثمنْ
سأغنّي أطفال حارتنا/وهم يحلمـــونَ بالـــوطنْ !» (جميل: ١٩٩١ م/١٠٠ و ١٠١)

٢. الإغتراب الزماني: يشعر المرء في هذا النوع من الإغتراب بأنّ الزمان قد تغيّر عليه و لم يعد يعيش في الزمان المثالي الذي ألفه واعتاد عليه. ذلك أنّ كثيراً من الأعراف والتقاليد قد تغيّرت ولفّها ضباب النسيان. كأن يكون العهد السابق حافلاً بالخيرات بحسب وجهة نظره. فيتذكر ذلك الماضي بشيء من الحسرة والألم.

وقد يكون الإغتراب الزماني بالتطلّع نحو مستقبل واعد. فليس الإغتراب الزماني مقصوراً على حب الماضي، بل قد يكون بهواية المستقبل. أمّا نموذج التحسّر على الماضي فنجده في شعر الكثير منهم يتمثّل في التوق إلى أيام الطفولة، فالوائلي مثلاً يقول :

أمّي لو اسطعتُ إرجاع الزمانِ إلى الـــ
ـــماضي لآثرت أن يبقى لي الصَّغرُ
مباهج لو جنان الخلد تلمُحَها
لأعلنت ها هنا الجنّات والنهرُ
(الوائلي /٦٦)

إنّه يتذكر طفولته الحالمة في غير موضع من ديوانه، وذلك لما تحمله هذه الطفولة من وداعة وأحلام ولكونها بعيدة عن مسؤوليات الحياة الشاقّة :

عهودَ الصبا يا حلوةً إن ذكرتها
فإنّ شفاهي من حلاها تَفَطَّرُ
وعهُد الصبا ترنيمةٌ أريحيةٌ
تذوّق من أحلامنا وتعطّرُ
فيا للصبا جفت لدانُ غصونه
وعاد يبيساً عوده يتكسّرُ
(المصدر السابق/١٢٣)

وهذا اللون من الحنين إلى الماضي تجده في شعر عبود الأحمد النجفي أيضاً :

صَخَبُ الطفولة كم أنا أشتاقُهُ
فكهولتي قد حطَّمَت أعصابي
وبراءُة العمر النديِّ وضحكة
عذراءُ ترفلُ بالصدى الخلاّبِ
تلكَ البراءةُ ليتها ما غادرتْ
يوماً ولا مرّت كمرِّ سحابِ
(الأحمد النجفي، عبود: ١٩٩٧م/١١٣)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

ويرى عبد الوهاب البياتي طفولته في باب الشيخ حيث البيت الغارق في النور، إشارة إلى وداعة الطفولة، مقارناً بينها وبين حاضره حيث تتقاذفه المنافي، جرحاً نازفاً، وبقايا أحلام محطمة، وكأن طفولة الشاعر نور، وحاضره دم، يقول:

«حبٌّ من باب الشيخ ورائي/يمتدُّ كخيطٍ مسحور/أمسِكُهُ فأرى بيتاً يغرق بالنورْ

أتطلّعُ نحوَ الباب المغلقِ/في عينَيْ طفل مبهورْ

أصرخ لكنّ الخيط المسحورْ/يصبحُ جرحاً في قلبي/ورمادَ بخورْ» (البياتي، ١٩٧١م، ديوان عائشة/٦٩)

أما بلند الحيدري فهو يعي طفولته المعذبة ولذا فهو حين يتذكرها، يستعيدها- كما كانت رمالاً وتلالاً من تراب. وعلى الرغم من ارتباط طفولته بالألم، والشقاء، فإن الشاعر يحاول أن يلتمس العزاء لنفسه، فلماذا النفور من الحاضر مادام شبيهاً بالماضي، يقول:

«بالأمسِ إذ كنا صِغارْ/كم كانتِ الدنيا صغيرةْ/مازلتُ أذكر هاتيك السنينْ/تلكَ الدروب المعتماتْ/ضِحكَ السكارى العائدين من الحياةِ/بلا حياةْ» (الحيدري، ١٩٧٤م/٦٧)

ولكنهُ يضفي، أحياناً، على ماضيه ما ليس فيه من الجمال، والصفاء، ربما لكي يوجه ثقل اغترابه الراهن، بوهم الماضي اللامغترب، فليس الخلق الفني... في جميع تجلياته... إلا تعويضاً تصعيدياً عن رغبات غريزية أساسية ظلت بلا ارتواء بسبب عوائق في العالم الداخلي أو العالم الخارجي (راضي جعفر، ١٩٩٩م/٥٠)

يقول الشاعر :

حدّثيني عن حياتي الماضيهْ

فهي أنوارُ الشباب المندثرْ

وأعيدي لي صَدى أياميهْ

يومَ رفّتْ فوقَ آمالٍ غُرَرْ

جدّديها وابعثيها ثانيهْ

ذكرياتٍ تتمطّى في خَوَرْ

(المصدر نفسه)

ويصف مدين الموسوي الماضي وصفاً ملؤه الخير والمحبّة والوئام ويراه حافلاً بأنواع الخير والبركات، ثمّ ينتقل إلى الزمن الحاضر لينعته بأشنع النعوت ويصفه بأنّه ابن الشيطان فرّخه في العراق. يقول :

«كان لنا وكان/في غابر الزمان/كان لنا وطن/أفياؤُه الخضراءُ كالجنان/سماؤه الزرقاء في آفاقها يحلّقُ القرآن/ترابه يعبق بالعطر وبالندى/وفي رباه الخضرُ والوديان/تزغرد الطيور/فترجعُ الصدى/منابتُ الريحان/وكانت الضفافُ والجداول/تغازلِ السنابل/فتكشفُ الهمسَ الذي تبثّه أسنّة المناجل/وكانتِ الصبايا/كأنّها المرايا/تنثر عند الصبحِ في حقولِنا الجدائل/فتنشر الحنان/في كلّ قلب تنشر الحنان/وكانت الأطفال في حقائب المدارس/تخبّئ الأقنعة الداكنة الألوان/وعندما تعود للبيوت في الظهيرة/تلبسها لتُفزع الآباء/وكانت الصغار في بلادنا/ترسم في الجدران/أحلامَها فتورقُ الجدران/ثمّ تغنّي بعدها/تعيش يا وطن/هلا هلا/ما أجملَ الأوطان.

وبعدها/دارَ بنا الزمان/دوَرَتهُ ودارت الأيامِ/فرّخ في بلادنا الشيطانُ/وانتصبت في أرضنا الأصنام/فانطفأ القمر/وغارتِ النجوم/وهوّمت في الخيبة الأحلام/فجفّتِ الحقول/وماتت السنابل/وكلّ شئ عَمَّهُ الذبول/وانكفأت بمائها الجداول/دار بنا الزمان/فجفّت المراضع/واحترقت بدفئها الأحضان/وأقفرت بالوحشة الشَوارعُ/ولم يعدْ يداعب الخيال/مباسم الأطفال/ أحرقنا بناره الشيطان/ما أظلم الأوطان !/حينَ يكونَ سلعة رخيصةً/في سوقِها الإنسان». (الموسوي، ١٩٩٢م/٦١)

أمّا التطلّع إلى المستقبل الواعد فنجده لدى الشعراء الملتزمين وأصحاب القضية من المهاجرين العراقيين وسواهم من أتباع

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

مدرسة أهل البيت (ع). إذ يبقى الشيعيّ يندب إمامه الغائب عن الأنظار ليل نهار وكلّ أسبوع. أوليس الإمام هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ؟ وهذا لعمري زوال كلّ دواعي الاغتراب. حيث لا ظلم ولا استبداد. وحيث يعمّ الخير ربوع الأرض وتفيض الخيرات ويعيش الجميع الأخوة الإسلامية والإنسانية بمعناها الحقيقي. يقول مدين الموسوي في ديوانه أوراق الزمن الغائب :

مَدّ للحقّ ذراعاً وحُساما
يومُك الآتي فحيّاه مضاما
باتَ يستجليكَ حدّاً قاطعاً
بعدما حَزّ به القيُد عظاما
وغدا ينتظرُ الفجرُ على
شمسِ كفّيكَ ويستجلي الغماما
وهو يدري أنّما الغائبُ في
وسطِ الدربِ سيأتيه لِزاما
كلّما ضاقَت به أيّامه
ذكر الوعد فأرخاه وهاما
هذه الأيّام مهما أثقلتْ
ألماً وارتادها الظلم سناما
فهي حُبلى بك لابدّ لها
ساعة لليسرِ تعطيه المراما

(الموسوي، ١٩٨٧م/٣٠)

٣. الاغتراب السياسي: وهو أشدّ اغتراب واجهه الشعراء المهاجرون، حيث لا تكاد تجد شاعراً مهاجراً عراقياً إلاّ وكان للظروف السياسية الأثر البالغ في اغترابه. وقد اشترك جميعهم في الشكوى من الظروف التي ألّمت بالعراق وديكتاتورية القمع التي اضطرّتهم للخروج أو اللجوء إلى بلدان قد لا يمتّون إليها بصلة أحياناً. ولأنّ المجال يضيق بنا في التطرّق إلى جميع النماذج، فإنّنا نقتصر على الشاعر أحمد مطر لأنّه اختصّ بهذا اللون من الشعر. وأسّس لمدرسة تدعو إلى نمط جديد من السهل الممتنع ممّا يعتمد على الأسلوب التهكمي الساخر والممزوج بمرارة الحقائق. إنّه يصوّر الحالة الاغترابية خير تصوير. ويمكن تصنيف أسباب الاغتراب السياسي في شعر أحمد مطر كما يلي :

أ) الحرية المصادَرة: حيث لا يجد المثقّفون وأصحاب الرأي السديد متنفّساً ليعبّروا به عن آرائهم بحرّية وإليك النماذج:

«جَسّ الطبيبُ خافقي/وقال لي: هل هاهنا الألم ؟/قلت له نعم/فشقّ بالمشرط جيب معطفي/وأخرجَ القلم/وقال لي/ليسَ سوى قلم/فقلتُ لا يا سيدي/هذا يدٌ وفمْ/رصاصة ودم/وتهمة سافرةٌ. ... تمشي بلا قدم»! (مطر، ٢٠٠١م/١٨)

ولا يفتأ مطر في جميع لافتاته يستخدم الأسلوب التهكّمي الساخر، ليصوّر لك عمق الفاجعة التي خلّفتها سياسات الاستبداد في البلاد العربية بوجه عامّ والعراق بوجه خاصّ، انظر لهذه اللافتة:

«شعرتُ هذا اليوم بالصدمة/فعندما رأيتُ جاري قادماً رفعت كفّي نحوه مسلّماً/مكتفياً بالصمتِ والبسمة/إنّني أعلم أنّ الصمت في أوطاننا حكمة/لكنّه ردّ عليّ قائلاً/عليكم السلام والرحمة/ورغمَ هذا. .../لم تسجّل ضدّه تهمة/الحمدُ لله على النعمة/من قال ماتت عندنا حريّة الكلمة؟!» (المصدر السابق/٥١)

ب) سياسة القمع: يصوّر مطر في لافتاته المشهورة سياسة القمع التي تمارس في كلّ البلاد العربية بشتى الأساليب، فلا أحد ينكر ما آلت إليه سياسة التجسّس وكتابة التقارير التي عمّمتها حكومة البعث على جميع من ينتمي للحزب، ليسلك سبل الرقيّ المادّي في المجتمع. كان لابدّ لكلّ بعثي- سواء انتمى للحزب طوعاً أو كرهاً- أن يقدّم تقريراً عن أقاربه وجيرانه وذويه أسبوعياً. (للمزيد راجع العلوي، المصدر السابق):

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

«تهتُ عن بيت صديقي/فسألتُ العابرينْ/قيل لي: امشِ يساراً/سترى خلفَك بعضَ المخبرينْ/حُدْ لدى أولهم/سوف تلاقي مُخبراً/يعملُ في نصبِ كمينْ/اتّجه للمخبرِ البادي أمامَ المخبرِ الكامنِ و احسبْ سبعةً. .. ثمّ توقّفْ/تجدِ البيتَ وراءَ المخبرِ الثامنِ في أقصى اليمينْ/حفظَ الله أميرَ المخبرينْ/فلقد أتخمَ بالأمنِ بلادَ المسلمينْ/أيّها الناسُ اطمئنّوا/هذه أبوابُكم محروسةٌ في كلِّ حينْ/ فادخلوها. ... بسلامٍ آمنينْ !» (مطر، مصدر سابق/٥٢)

والإنسان كلّ إنسان له ملفّ منذ نعومة أظفاره، تدوّن فيه كلّ صغيرة وكبيرة، يظفر بها جهاز المخابرات المعنيّ بالحفاظ على مصالح الحاكمين :

«المرءُ في أوطاننا/معتقلٌ في جلده/منذَ الصِّغر/وتحت كلّ قطرة من دمه/مختبئٌ كلب أثر/بصْماته لها صُوَر/أحلامهُ لها صُوَرْ/المرء في أوطاننا/ليسَ سوى إضبارةٍ/غلافها جلد بشرْ/أين المفرْ؟» (المصدر السابق/٥٤)

إنّ كلّ ما من شأنه الخدش بأمن النظام لابدّ أن يُستجْوَب. فكثير من الذين اعتقلوا وزُجَّ بهم في غياهب السجون، لم تكن تهمتهم سوى القرابة بأناس محسوبين على الناشطين السياسيّين. اقرأ هذه اللافتة ولا تستغربها، فهي ضرب من الواقع المرّ الذي ألمّ بالعراق أيّام الحكم البعثي الجائر:

«كنتُ أمشي في سلامْ/عازفاً عن كلّ ما يخدش إحساس النظامْ/لا أصيخ السمعَ لا أنظرُ لا أبلع ريقي/لا أرومُ الكشفَ عن حزني وعن شدّة ضيقي/لا أميط الجفن عن دمعي/ولا أرمي قناع الابتسامْ/كنت أمشي. .. والسلامْ/فإذا بالجند قد سدّوا طريقي/ثمّ قادوني إلى الحبس. ../وكان الإتّهامْ :/أنّ شخصاً مرّ بالقصر وقد سبّ الظلامْ/قبل عامْ/ثمّ بعدَ البحث والفحص الدقيقْ/علم الجند بأنّ الشخص هذا/كان قد سلّم في يومٍ/على جار صديقي!» (المصدر السابق: ٧٧)

ج) انقلاب الموازين وحكومة الأراذل: لا شكّ أنّ أهمّ عامل لظهور الحكومات الجائرة هو انقلاب الموازين، فلو كان في رأس الأنظمة العربية التعسّفية أناس أولو حكمة ودراية وعقل لهانت المصيبة، إلاّ أنّ الذين تربّعوا على العرش في العراق، ما هم إلاّ حثالات امتهنوا الإرهاب، والغدر، والمكر وماضيهم خير شاهد على ذلك. هذا فضلاً عن سياسات الدمار التي مارسوها بحق العراق والتي لا يقدم الناس عليها أسفهم:

«رأيتُ جرذاً/يخطب اليوم عن النظافة/ويُنذرُ الأوساخ بالعقابْ/وحوله يصفّق الذباب!» (المصدر السابق: ١١)

لكن كيف تسلّم هؤلاء الأشرار السلطة ؟ ومن أين جاؤوا بشرعية أنظمتهم ؟ هل للديمقراطية دخل في ذلك ؟ أم إنّهم استمدّوا شرعيتهم من نظام ربّاني ؟ الجواب يكمن في اللافتة التالية:

«أحضر سلّة/ضع فيها أربع تسعات/ضع صحفاً منحطّة/ضع مذياعاً/ضع بوقاً/ضع طبلة/ضع شمعاً أحمرَ/ضع حبلاً/ضع سكّيناً/ضع قفلاً/وتذكّر قفله/ضع كلباً يعقر بالجملة/يسبق ظلّه/يلمحُ حتّى اللا أشياء/ويسمعُ ضحكَ النملة/واخلط هذا كلّه/وتأكّد من غلق السلّة/ثمّ اسحب كرسيّاً واقعد/فلقد صارت عندك. .. دولة!» (المصدر السابق/١٠٥)

نتائج خلص إليها هذا المقال

إنّ الاغتراب قديم قدم الإنسان، لكنّه في عصرنا الحاضر اتّخذ أبعاداً معقّدة، خاصّة فيما يرتبط بالدول العربية، وذلك لسياسات القمع والاستبداد التي تمارس فيها.

إنّ الشعراء العراقيّين المهاجرين، والمهجّرين، عانوا اغتراباً مضاعفاً متمثّلاً في عيش المَنافي، وتعرّضهم لسياسات القمع الرهيبة في العراق، وانقلاب الموازين بزوال الخير وسيادة الشرّ، والتطلّع نحو المنقذ العالمي وعهده الموعود.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

إنّ اغتراب الشعراء العراقيّين المهاجرين منشأه الإلتزام في غالبيتهم، سواء الإلتزام الديني، أو الإيديولوجي. وقلّما تجد اغتراباً ناشئاً عن التفلّت الأخلاقي والإنحطاط الشخصي لديهم.

المراجع

[١] الأحمد النجفي، إبراهيم. (١٩٩٧م) هل قلت شيئاً يا وطن، باهتمام عبود الأحمد النجفي وإعداده، الناشر عبود الأحمد النجفي، قم، ايران.

[٢] الأحمد النجفي، عبود. (١٩٩٧م) اهتزاز الذاكرة، دون معلومات عن الناشر ومحل النشر.

[٣] بدوي، عبده. (١٩٧٣م) الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة، مصر.

[٤] البرقوقي، عبد الرحمن. (٢٠٠٦م) شرح ديوان المتنبّي، بمراجعة يوسف البقاعي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

[٥] بركات، حليم. (٢٠٠٦م) الاغتراب في الثقافة العربية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

[٦] البستاني، فؤاد أفرام. (١٩٩٣م) المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو، ط٤، دار المشرق بيروت، لبنان.

[٧] بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. (١٩٧٠م) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ط١، دار المعارف، القاهرة، مصر.

[٨] البياتي، عبدالوهاب. (١٩٧١م) ديوان عبدالوهاب البياتي المجلد الأول، ط١، دار العودة، بيروت، لبنان.

[٩] جبرا، إبراهيم جبرا. (١٩٨٩م) تأملات في بنيان مرمري، ط١، منشورات رياض الريس، لندن، بريطانيا.

[١٠] جمال الدين، مصطفى. (١٩٩٥م) الديوان، ط١، الناشر المؤلف عن طريق دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.

[١١] جميل، جواد. (١٩٩١م) يسألونك عن الحجارة، ط١، دار الفرات، بيروت، لبنان.

[١٢] الحمداني، أبو فراس الحارث بن سعيد. (١٩٨٧م) الديوان، بتحقيق الدكتور محمد التونجي، ط١، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، سورية.

[١٣] راضي جعفر، محمد. (١٩٩٩م) الإغتراب في الشعر العراقي، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية.

[١٤] العلوي، حسن. (١٤١١هـ) العراق دولة المنظمة السرّيّة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، طهران، ايران.

[١٥] فهمي، ماهر حسن. شعر الإغتراب في الأدب العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٥٧، ١٩٦٥م، ١٣٢ إلى ١٤٨.

[١٦] مروّة، محمد رضا. (١٩٩٠م) الصعاليك في العصر الجاهليّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

[١٧] مطر، أحمد. (٢٠٠١م) الأعمال الشعرية الكاملة، دار الساقي، لندن، بريطانيا.

[١٨] الموسوي، مدين. (١٩٨٧م) أوراق الزمن الغائب، ط١، دار الزهراء، بيروت، لبنان.

[١٩] ـــــــــ، مدين. (١٩٩٢م) كان لنا وطن، ط١، دار نداء الرافدين، بيروت، لبنان.

[٢٠] الوائلي، أحمد. (١٤٢٤هـ) ديوان الشيخ أحمد الوائلي، ط٢، الناشر السيد ميثم الخرساني، قم، ايران.

[٢١] الوردي، علي. (د.ت) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دون معلومات عن الناشر ومحل النشر.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 12:00 IRST on Tuesday October 19th 2021

پدیده غربت در شعر عربی با بررسی موردی شاعران عراقی مهاجر

جعفر دلشاد[۱]، عبدالغنی ایروانی زاده [۲]، حامد صدقی[۳]، سید عدنان اشکوری[٤]

تاریخ دریافت: ۱۳۸٦/٦/۳ تاریخ پذیرش: ۱۳۸٦/٦/۲٦

اصطلاح (اغتراب) یا (Alienation) دارای مفاهیم و مدلولات فراوانی است. به طوری که اندیشمندان عرصهٔ علوم انسانی را تعریفات گوناگون و متفاوتی از آن است.

یکی از مدلولات این اصطلاح، غربت زدگی و احساس بیگانگی و ناهمگونی با جامعهٔ پیرامون است. این احساس به طور عمدی یا ناخودآگاه بر رفتار و گفتار افراد غربت زده اثر می‌گذارد، به ویژه اگر این افراد از گروه هنرمندان و شاعران باشند. تاریخ ادبیات عربی مملو از نمونه‌های فراوان غربت زدگی و جامعه گریزی است.

در این گفتار سعی بر آن است که ضمن ارائهٔ نمونه‌هایی از غربت زدگی در شعر عربی، علل و اسباب این پدیده تبیین شود، و سپس پدیده حادّ غربت زدگی و جامعه گریزی در شعر مهاجران عراقی بررسی گردد.

عوامل فراوانی باعث بروز اغتراب در جوامع بشری‌اند از جمله: ناهمگونی قومی و نژادی جامعه به گونه‌ای که منجر به بروز تبعیض گردد، سلطه‌گری و زور مداری حاکمان، اختلاف طبقاتی و بی عدالتی اجتماعی، سنت زدگی افراطی و غیر عقلایی، و وابستگی اقتصادی، سیاسی کشور به کشورهای سلطه جو.

عوامل فوق، که در دوران حاکمیت حزب بعث بر عراق نمود بیشتری داشت، و نیز بروز جنگ‌های خانمان سوزی که هیچ توجیه منطقی نداشت، منجر به مهاجرت میلیون‌ها مخالف گردید.

در پایان این گفتار به سه نوع از اغتراب (مکانی، زمانی و سیاسی) که خصلت عمومی و مشترک در شعر مهاجران عراقی است اشاره نمودیم.

واژگان کلیدی: اغتراب، شعر مهاجران عراقی، عوامل بروز اغتراب

---

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.

۳. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت معلم تهران.

٤. دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.